

شعرية الذات وارتجالها بين الانكفاء والانفتاح في ديوان " يقينا يرشح الرمل " للشاعر حسن بن عبده صميلى

**Poetics and its journey between regression and openness
In the book "Surely the sand filters." For the poet Hassan bin Abdo Smaili**

عائشة قاسم محمد الشماخي*

جامعة جازان (السعودية)

aalshmakh@jazanu.edu.sa –

تاريخ الارسال 2022/02/20. تاريخ القبول 2022/03/03 تاريخ النشر 2022/09/23

ملخص:

إن المتأمل في أمكنة حضور الذات وتمثلها وارتدادها بين الانكفاء والانفتاح في الشعر سيقف عند تحولات طاغية الحضور بين عوالم النص الشعري؛ إذ تنبثق من خلالها ذات فاعلة تشهد القارئ على صوتها، وتسمح للأشياء والظواهر أن تخرج من خلالها، وذات حيادية تقترب من الحدث الشعري، ثم ما تلبث أن ترتد وتنكفأ على نفسها. يتطلع هذا البحث إلى قراءة تحولات الذات، ومن نتائج البحث أنه توجد حالة توحيد وتماهي واضحة بين الذات الشاعرة، والذات الأخرى في هذه المجموعة تجمع بين الانكفاء والانفتاح. إنها ذات تبحث عن كونها تخشى ألم الإخفاق وقوة الفشل الشاعرة في النص الشعري.

الكلمات المفتاحية: الذات؛ الانكفاء؛ الانفتاح؛ الرمل؛ لغة شعرية

Research Summary

The contemplator on: the presence of the presence of her and her regression between regression and openness in poetry will stop at the transformations of the tyrannical presence between the worlds of the poetic text; It emerges from an active loophole that the reader testifies to its voice, and allows things and phenomena to come out of my Lord, and a neutral entity that approaches the poetic event, then it soon retracts and withdraws from itself. This research looks forward to reading the transformations of the self, and one of the results of the research is that there is a clear state of unification and identification between the self and the poet, and the other self in this group combines regression and openness. It is a self that seeks to fear the pain of failure and the poetic power of failure in the poetic text.

Key words: Self ؛ regression ؛ openness ؛ sand ؛ poetic language

مقدمة

ونحن ننتقل إلى الحديث عن الذات ينبغي أن نعي بأن "الأنا الكاتبة هي دائما أنا لذات أخرى غير ذات المؤلف، تنبعث بانبعث فعل الكتابة، وتنمو وتنشأ فيه، وما إن يقل المؤلف: «ها أنا ذا» حتى يجد نفسه يتحدث عن ذات أخرى غير ذاته المرجعية، ذات كونتها عوامل متشابكة تخرج عن حدود الذات المرجعية التاريخية، منها اللغة والحضارة والثقافة والإيديولوجيا... تعطي ذات المؤلف هوية جديدة يكتسبها بفعل الكتابة"⁽¹⁾ وتكمن أهمية هذا البحث في أنه يبحث في شعرية الذات بين الانكفاء والانفتاح في مجموعة "يقينا يرشح الرمل"⁽²⁾ للشاعر حسن بن عبده صميلي الذي رصدنا فيه تحولات الذات وارتدادها التي انبنى عليها الديوان برمته. وتهدف هذه الدراسة إلى:

1- رصد الحقول المعرفية للمجموعة الشعرية، لسر أغوار الذات وتفصيلاتها وتحولاتها.

3- إبراز الدائقة الشعرية عند الشاعر عبر مظهرات الذات بين الانكفاء والانفتاح.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في بيان إحياءات الذات ومظهراتها التي تنبثق من العناوين الرئيسة والفرعية ومبانيها فضلا عن مقارنة المفاتيح التي تدخل بنا إلى متن النصوص ولذلك ستجيب الدراسة عن التساؤلات التالية لعل أبرزها:

- كيف تجلت الذات عبر إحياءات العتبات العنوانية الرئيسة والفرعية؟
- ماهي الدلالات المنبثقة من تلك العتبات وعلاقتها بالنصوص الداخلية للمجموعة؟
- لماذا ركز الشاعر علي العناوين ووظف المؤثرات الفنية في بنائها النصي؟
- كيف تجلت الذات وتحولاتها في الديوان؟
- ما مدى استنطاقه للوجود من خلال اللغة التي يتعامل بها؟
- كيف كانت تجليات الحضور والغياب في شعره؟
- هل تتمحور الذات داخل نفسها وتنكفى عليها؟ أم أن هناك ذاتاً تنفتح بانفتاح لغتها؟

منهج البحث:

وظفت الباحثة شعرية جيران حينيت (المتعاليات النصية) في دراسة العتبات العنوانية والفرعية، للوقوف على قراءة الأحداث التي طبعت وجدان الشاعر.

وتنقسم الدراسة إلى مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث، وخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات:

حدود البحث:

الحد الموضوعي: شعرية جدلية الذات وانشطاراتها في العتبات النصية والفرعية

الحد الزمني: المجموعة الشعرية لحسن صميلي بتاريخ 1437هـ-2016م.

الحد المكاني: المجموعة الشعرية للشاعر حسن عبده صميلي "يقينا يرشح الرمل".

خطة البحث

- المقدمة: وفيها أهمية البحث وأهدافه ومنهجه وتساؤلاته وخطته.. الخ.

- التمهيد:

- المبحث الأول: شعرية الذات في عتبة العنوان ودلالاتها

- المبحث الثاني: الانشطار بين الذات الشاعرة والذات الأخرى

- المبحث الثالث: تجليات الذات بين الحضور والغياب

- المبحث الرابع: المكان بين الحضور المائل ودلالة الألفاظ

- المبحث الخامس: سلطة الذات وشعرية الغواية

- الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

تخلق الذات الشاعرة في عالم الوجود عبر استدعائها لبعض المفردات في عملية إنصات تأملي يحقق منه معاني تلك المفردات .

فالذات لغة: هي "النفس، والشخص"⁽³⁾، وعرفت قديماً بأنها "نفس الشيء وعينه، فلكل شيء ما يخصه ويميزه عما عداه"⁽⁴⁾ .

وهذه الذات الحاضرة تعبر عن مجالين دلاليين أثيرين هما (الاغتراب) الغربة النفسية و(الحنين). وهما مجالان كثيراً ما يتماهيان في الذائقة الشعرية العربية على مر أجيالها.

ونلاحظ من قصائد هذه المجموعة أن الشاعر استمد من الطبيعة الصادقة صوراً حية ومتحركة، يرجع انبثاقها من ذاتية حاملة تموج بحزن كامن. إن إقباله على الطبيعة والتواصل معها، نابعان من وجدانه، فهو لا يطرب للطبيعة ذاتها، بل بما تعكسه من موسيقى وغنائية شفافه تتجلى في معظم قصائده.

وقد لاذ الشاعر بالطبيعة كعادة الشعراء الرومانسيين الذين يلوذون بها لبث همومهم. فالألفاظ المسيطرة على الديوان تعكس هذا الأمر وتعزز الشعور به، ومنها مفردات الغروب والظلام واليأس والذبول والموت والفناء.

المبحث الأول: شعرية الذات في عتبة العنوان ودلالاتها

نشعر ونحن نقرأ ديوان "يقينا يرشح الرمل" للشاعر حسن الصميلي أنه يخرج عبر فضاءاته خروجاً يقابله دخول مستتر لكنه غير مرتد، بخفة الدمعة والألم حيناً وبثقل الطين حيناً آخر.

إن ما وراء قصائده نوع من الغنائية العميقة، تختلف عن تلك الغنائيات السهلة وكأنها احتفالية بغنائية الموت من أجل البعث أي بعث تراجيدية القصيدة عبر رحلة استبصار عاطفي وإنساني للداخل يموج ويضطرب في وجدانه وتبقى مفردات الموت والعودة منه في ذاته لا ترحل إلا مع عالم الولادة.

إننا نجد في عناوينه الداخلية ما يشي بهذه الحياة التي تتناقض فيها ذاته المتحركة إلى خارجها ثم تؤوب وتعود إلى دهاليزها المجهولة.

إن القصيدة الصميلية هي الملاذ الوحيد الذي يلجأ إليها الشاعر برغبات مبتورة، وقليل من البهجة ترصدها الحيات، والحزن يسابق الفرح، فهو في لحظة النشوء يسيل منه الحزن والكآبة.

فمن مفردة (الرمل)، تنبت الأحاسيس المختزلة في ذات الشاعر و ترحل من البداية إلى النهاية بطريقة التركيب وبالمساق الذي تترد فيه، ينتعل الآفاق مانحا إياها لغته وباحثا عن تلك البدايات الفطرية؛ حيث إن الرمل هو المادة الأساسية في تكوينه منذ بدء الحياة.

فالرمل أصبح غنائية الشاعر وموضوعه بانية للديوان، تمنح لذاته استمراريتها عبر يقين مؤكد بشاعرية متقدمة، يتشكل عبرها توسع دلالي ينتمي لذلك المكون المادي والمعنوي.

فإذا ما فتشنا داخل الديوان على المستوى الإفرادي والتركيبى وجدنا ما يعضد هذا المدلول (يرشح الرمل)، وهذا ما يؤكد العلاقة الإيحائية بين العنوان ومضمون الديوان وهو ما يبرز شعريتها

ولأن دال العنوان هو المحور في البناء، فإن معالجة هذا الدال يبدأ من جمالية تصور الذات الشاعرة بكل تفرعاتها التي تجمع بين الفرعي والرئيسي للعناوين، فبماذا يرشح الرمل؟ هذا الذي يمثل طينة الشاعر ومنبته؛ فهل يرشح الرمل بالأمل أم بالألم أم بشيء آخر؟

وتبدأ شعرية الذات من العنوان الفرعي الأول لقصائد المجموعة "اختفاء لطفل ما"⁽⁵⁾، فعلى الرغم من التقريرية التي تلف العنوان إلا أنه يرشح بدلالة إيحائية تستبطن شعرية صارخة يحيل على ألم الأمومة التي يصيبها الرعب والخوف عندما يختفي ابنها من أمامها فجأة. وإذا انتقلنا إلى المتن لنبنى المعنى نجد أن تيمة الخوف حاضرة بقوة فعن أي خوف يتحدث المتن

يقول في القصيدة:

في الخوف

في الصلوات

في الجسد المبلل بالغواية

كنت أنت

متلبسا بعذوق بسملة العذاب

خرجت من تعويذة الشعراء

هل تمحوك حشرجة السلام؟

فلتعد من حيث كنت.

يضعنا الشاعر منذ السطر الأول أمام كلمة الخوف عبر فضاء شعري يوازي المرحلة الزمنية الطويلة التي تبدأ من بدايات تشكل اللغة وكتابة القصيدة، من خلال اعتماده على النقاط التي وصفها في التشكيل الصياغي لهذه البداية والتي هيمن عليها الخوف، لكنها خرجت من تعويذة الشعراء. وهذه التعويذة التي تلقى على الإنسان فيصبح وكأنه يحقق مالا يستطيع أن يحققه إلا بها، وهي عالم متسع من الرؤى والاستبصار، لكنها تترد ويعود من حيث كان.

إن هذا الارتداد برغبة مشحونة بذات راغبة تسكب في النهاية بعض زيت فستجدي ذاكرة هاربة في متاهات الغياب، وقد استطاع عبر جمالية لغته أن ينهض بإبراز تلك الصورة باعتماده لغة الفعل تسكب، فهي تدخل في حيز الممكن شعريا باعتماده على جدلية الحضور والغياب معا.

إن الخوف المعبأ تمتلئ به ذات شاردة مليئة بالأسى بما يواجهها من قلق وخوف، وهي في حال انكفاء وانفتاح، عبر صراع برغم تلك الغواية التي يغوص معها في رحلة انبعاث القصيدة، لكن الزمن هو القادر على تشكيل النص الشعري والذي سيمنحه نضجا فنيا واضحا.

إنه ذلك الإيماء المبحوح في الطرقات/يغزل بيلسان العطر/في عقب السراج ورغبة الأشياء.

ثم يختم قصيدته بتكرار كلمة ليت لاستحالة تحقيق هذا الأمر، وكأنه يقول إن تلك الذاكرة لن تستبصر مطلقا.

رمقٌ وذاكرةٌ تُغيضُ الغيب

ليت الكائن الضليل يحملنا

وإنّا حزناً (ليت).

وإذا ربطنا المعنى الاستباقي للعنوان والمعنى المبثوث في المتن، فإن الشاعر يحاول تقريب رعب الأم برعب ذات الشاعر الذي يتجلى أمامه الشعر كفكرة يريد القبض عليها ثم يتلاشى ويختفي كاختفاء طفل من أمام والدته فيقع الشاعر في رعب كبير كرعب الأم ولأن الطفل هو حياة أمه كذلك الشعر بالنسبة للشاعر فهو ماء الحياة بالنسبة إليه، فهو يحيا بالشعر ويتجدد به وهنا تكن شعرية المشابهة والاختلاف

وتشكل القصيدة الثانية "شهقة الملح الهارب"⁽⁶⁾ بوصلة قبلته الشعرية عبر تشكل صورة الذات المتصحرة،

فالملاح يحيل على التصحر ونضوب الماء وهو هنا ماء الشعر والشهقة هنا هي شهقة الذات التي تبيست لأن رملها لم يرشح بالماء، وهذا يحيلنا على العنوان الرئيس "يقينا يرشح الرمل" وهو هنا لا يرشح!!؛ وبين اليقين واللايقين تنزل الذات بين الانكفاء والانفتاح وبين الانبساط والانقباض. فيخيم عليها الخوف والرغبة والألم والويل.

يقول الشاعر:

نقشُ الزنبقات البيضَ نَحْمُلُها
لشَهقةٍ تنزوي في نكهة الويل
لا إثم يستلُّ في ضوضاء رهبتنا
إلا الفوانيس إذ تُهْذي على مَهْلٍ
تأتي هذه الشهقة في إطار دلالي مركب شهقة الملح الهارب وهي متوقعة وغير صادمة، فهو يقدم تلك البداية بالتهند في زمن الفعل الماضي تنهد الماء المفقود.

تنهَّد الماءُ في إلباذا الرمل
كطينةٍ لم تزل تطفو على الوحل
إنها تلك الملحمة الممتدة عبر امتداد زمني ترفض الانزواء، وتسائر تلك الروح الممتدة داخله في تدفق شعري يبلغ نضوجه، وهو يستمد الضوء من داخل تلك الذات الشعرية التي تبحث عن بوصلة للوصول إلى ماء الشعر التي تحلل الرمل ولاذ في غياهب العمق.

سنقتفي نبأ الفردوس نَحْمِلُه
لبوصلات نشوء ضاق بالحمل
مذ عريد العبث المسعورُ في دمننا
والزيف يومض في أرجوحة الظلِّ
إنها الذات الشاعرة، المبعوثة من كينونته الشعرية بما يلائمها وما تصبو إليه من ارتواء، عبر ذاكرة زمنية تستبصر طريقها وتضرب بجذورها في عمق اللغة تستجدي فردوسها المفقود.

شكراً لإيماءةٍ في الغيب تدخلي
كنة الأراجيح حيث المشتهى حولي
شكراً لنَدِّ قديمٍ هزَّ ذاكرةً
الجدِّ المحنَّط في تغريبه النخل
شكراً لضوء يعري بعضَ سواته
لكنَّه يَمْحِي في فتنة الشكل

يؤكد هذا المقطع الشعري عبر تكرار كلمة شكرا ثلاث مرات، ما حققته تلك الذاكرة عبر استدعاء الماضي بفاعلية تتدفق وعطاء وانبعاث لضوء تخرج من خلاله نواتج دلالية تتجه من الداخل إلى الخارج، ومن الخارج إلى الداخل، في عملية انكفاء وانفتاح لتصبح الذات في كل حالاتها هي المسيطرة على كل عالمها الذي تحياه. ، فكيف ستجمع الذات بين الشعر القديم (الجدِّ المحنَّط في تغريبه النخل) وبين الشعر الجديد (فتنة الشكل الجديد)، وبين فكرة تراودها (إيماءة في الغيب تدخلي)؟، لعل الذات وهي تصدع بالشكر قد لامست بريق ضوء

الإلهام واقتربت من القبض عليه (شكرا لضوء يعري بعض سواته) هكذا تصل الذات إلى مرحلة التوازن في نقطة السكون.

المبحث الثاني: الانشطار بين الذات الشاعرة والذات الأخرى:

يصوغ الشاعر تجاربه الحياتية ورؤاه وخبراته وثقافته في ثنايا إبداعه الشعري، فيضمنها قضايا متنوعة ويؤسسها على دلائل متعددة، يحكمها منطق يتعايش معه، وواقع يحول تلك التجارب الحياتية إلى نزاع بين الشاعر وذاته، فتنقسم ذاته إلى ذاتين متناقضتين تتمثل في الذات الشاعرة والذات المخاطبة وهما يمثلان تجريدا صياغيا يرمز إلى التفتت والانشطار الداخلي لعالم الذات.

ففي قصيدة "نشوء"⁽⁷⁾ يقول الشاعر:

صرختُ:

توقُّدُ صرختيكَ على يباس النائبات

يشي بشاهقةٍ

تعيد ولادة العشرين في جسدي

وتررغني ظمًا.

وصرختُ:

فاكهةٌ من الشهوات

تقرأ بعضَ عريدة الشقوق

وأنت ميلادٌ لبوصلة النبا.

إن ضمير المخاطب (الكاف) الواقع نحويًا في منطقة الإضافة يعود دلاليًا على الفاعل في الفعل المضارع "توقد" وهما معًا الذات الشاعرة /المخاطب /الضمير الذات الأخرى، ليوحيان بأن الناتج الدلالي يمثل تمزيق الذات ومن ثم إلغاء فاعليتها تجاه عالمها.

إنها رغبة النشوء ثم الانطفاء ثم النشوء وهو ما يجعل الشاعر في صورة من تضارب المشاعر، مما يجعل الذات في عالم التوازن واللاتوازن، ففي التوازن تكون لحظة النشوء والتشكل الشعري وفي اللاتوازن تكون لحظة التلاشي، ثم اختفاء الصوت المتحشج عند ولادته وهو يرحل وليس له إلا الانتظار واقتفاء الوقت، يقول في قصيدة "انطفاء"⁽⁸⁾

ليس لشهقتي إلا اقتفاء الوقت.

وفي قصيدة "خوف معباً"⁽⁹⁾ يقول الشاعر:

العشب يهتفُ بي

ظلالِي تحملُ الإبريقَ

للوّجِ المكابِدِ

واليباسُ يقشّرُ الخوفَ المعبّاً

في ثُقوبِ البيتِ.

يستمر الشاعر في هذه القصيدة باثا دلالة الانطفاء المليء بالأسى (اللاتوازن) لما يواجهه الذات الشاعرة من قلق مصيري متوجس، لا ينفك عن المعاناة والصراع الداخلي الذي سبب له كبتا داخليا. وبرغم غوايته إلا أنه يغوص في ذاته باحثا عن كينونتها، ونجد أن هناك توأمة بين النص وبين الأنا، فهما كيان واحد لا ينفصلان عن بعضهما إذ أنه لا انفكاك بين المعاناة وبين التعبير عنها، وهو ما يحصل بين ثنايا الفضاءين، فالأنا لا تجد مناصا للتعويض غير القصيدة، والقصيدة في حد ذاتها تعرف أوجاع الذات في سيمفونية من الغنائية.

إن الأنا هنا مسلوقة لا تمتلك خيارا غير القصيدة، وهي في مجراها الشعري تحولت إلى ذات، ولكنه يتركها لشاهقات الزمن الممتدة، إن ذلك الزمن الممتد سيمنحه نضجا فنيا واضحا. ولذلك ستلتئم الذات من انشطارها وتفتتها عندما تقبض على القصيدة، وتنتهي تغريبه الذات الشاعرة عندما تلتقي بذاتها الأخرى (القصيدة)، لذلك يقول معبرا عن تلك الحالة:

حيث يغزلي الحريرُ

فأخّني في شاهقات الوقتِ.

المبحث الثالث: تجليات الذات بين الحضور والغياب

يحاول الشاعر اعتمال كل لفظة من قصيدته في مناجاة ذاته، وللذات الهاجعة في مكان ذاكرته، عبر فلك المراهقة بين الذات وواقعها المعيش، فذاته المنتجة للنص تستجدي في مرآتها خصائص مؤثرة فيها (الروح-الرغبة-الهروب-المناجاة-الغياب-الحضور. ولعل المناجاة أشد تأثيرا في الذات في قصيدة "وقفا على قبلة الريح"⁽¹⁰⁾

وقفتُ على لحظة الرحمة

أواري الخطيئات في سكتي

تجلت تلك الذات في الاستهلال بكلمة تاء الفاعل المنبثقة من ذات الشاعر والتي ما من شك في أنها

ذات لا واعية:

وقفتُ كإمّاءٍ لم تنم

كذاتٍ تُريقُ دم السوأة

إنها ذات متعبة تنقصى البحث في داخلها عن ذلك البياض النقي الذي ذاب داخله، وفي ذلك إشارة إلى تواصل روحي بين ذات متعبة، وذات راغبة يطلب منها أن تعود وتؤوب إلى الله.

أيا ربُّ عمري سبَّابةً
 تمدُّ رؤاها إلى الجنَّة
 وحين أعودُ من الوسوسات
 أُلِّمُّ يقينا من اللحظة
 تباركني رغبةً
 في الهروب
 إلى الله
 إلى آخر الرغبة
 ويظهر قلقه واضحا جليا في اضطرابه الداخلي من مصير وجودي يقض مضجعه.
 متى سوف تورق أيامنا
 لنكسر أيقونة الفتنة
 وفي قصيدة "ليل يتبع ظله"⁽¹¹⁾:
 في الليل
 ذاكرة العصافير المريضة
 ترتدي شبح القنوت
 في الليل
 نحجب آية الفردوس
 نحجب ما تبقى من بنفسج آدم
 ونعيد ترتيب السلام
 في ممرات البيوت
 وهنا أعفر وجه كاهنة الهروب
 أدرب البرد السحيق
 متى يفر منا الكلام إلى السكوت
 إلى أن يقول:
 يا لون أيوب المكابد
 أنت تحمل شهقتي في أجديات الكلام.

وإذا كانت "اللغة مسكن الكائن ومأواه، كما يقول، وبها يعمل، بشكل واع أولاً واع، على صياغة هويته وإعلان ذاته"⁽¹²⁾، فإن الذات الإنسانية في مثل هذا النص الشعري لن يبدو لنا منها إلا ما يدل على حضورها الخاطف المتوجس اللائذ أبداً بالغياب.

إن الشاعر هنا يرسم صورة حركية حية، والصورة هنا هي "الأثر" الذي يعلق بالنفس فيترك فيها نوعاً غامضاً من المتعة لا نستطيع تفسيرها أو تحليلها. بل لعلنا إذ حاولنا تفسير هذا الجمال ننقص من قيمته. والعاطفة هي أهم ما في الصورة، بل هي الأساس في الصورة"⁽¹³⁾ هي بلا شك شعرية لا تعوّل على الحضور، بقدر ما تراهن على الغياب، لتصبح الأشياء والتفاصيل، وعوارض الظواهر تتحرك وتنزاح بجلاء محتلة مركز المشاهد الشعرية عن هامشها المعهود. فهي بالتالي، أيضاً، ظاهرة انقلابية تستهدف مقامات الذات بالأساس وهي تراقب تداعياتها المريع، والتي كلما في أمعن في اكتشافها أمعن في انكشافه داخل ذاته.

وقد لجأ إلى رصد لتلك العصفير التي ترتدي الهجوع والسكون في الليل، إنها ذاته الهائمة الساكنة التي ترحل إلى الداخل؛ لإدخال مضامين اللاشعور إلى ذهنه، وهي ذات ترغب في الانعتاق من الغياب والهروب من تلك الذاكرة. والشاعر هنا يوجه الخطاب بالنداء وهو الأكثر مناسبة مع طبيعة الخطاب اخباراً بصيغة الحاضر في الفعل (تحمل) ليدل على امتداد تلك المعاناة التي يواجهها الشاعر بما يحتمله رمز الدلالة في كلمة (أيوب) من وصف الحال لأنها تتحدث عن الشاعر وتعنيه.

يعتمد الشاعر إلى عملية تسوية علاقة بين حضور الغياب (الذاكرة) وغياب الحضور الفعلي لذاته، عبر جدل وجداني وإنساني يستحيل فك التباسه واستيضاح صيرورته؛ فذات الشاعر استطاعت فنياً أن تتمظهر في هذا النص عبر تلك الحالة الشعورية من الإيحاء والتلميح، وأن ترسم حال الشعور عبر دمج الذات بأخرى في قوة محرّكة وكامنة.

تقرب إلى السكوت بدلاً من الكلام وتستجلي الصبر من حيث انصهار الصوغ الشعري بالمضمون النفسي.

المبحث الرابع: المكان بين الحضور المائل ودلالة الألفاظ

للمكان شعرية الخاصة في النص الأدبي، "إذ يشارك عبر تمظهراته مجموعة الأنساق والعلاقات الأخرى في إضفاء طابع التفرد الإبداعي، ويجعل النص حافلاً بالدلالات المتضمنة معانٍ تخلق الإبداع المتخيل للأديب وتبدي هذه المعان بما تمنحه من فضاء إيقاعي ودلالي يتفرد ويختلف عن أي نص آخر"⁽¹⁴⁾.

"ولم يعد المكان ذا إطار شكلي معتاد يقتصر على الحوادث والحكايات، بل أخذ شكل نطاق من العلاقات المجردة يستخرج الأشياء المادية والملموسة بقدر ما يستمد من التحريد الذهني أو الجهد الذهني المجرد، إنه يشغل الحيز الأكبر في ذهنية المبدع منذ الأزل، ويتبلور داخل مخيلته ليتشكل في وعيه، ثم ما يلبث أن يخلع عليه صفات المتخيل الخرافي"⁽¹⁵⁾.

إن هذا المكان في تجلياته في النص، ليكون الأليف (وطن الشاعر)، وهو باستدعائه يعمق صورة الحنين والاغتراب في الوقت ذاته وحضورهما معا يمنح النص قوة تعبيرية متدفقة تجعل من الذات المعبرة عن داخلها تتحدث كمن تخاطب ذاتها، واصفة ما تشعر به تجاه الآخر المكان وهو الوطن، وهذا ما يمكن أن نحسه من خلال تصوير الشاعر، واتكائه على مفردات لغوية تؤكد هذا المعنى وتحسه فعلا راکترا في وعي الذات ولا وعيها أيضا. فذات الشاعر في قصيدة "آية الرمل الأولى"¹⁶

عرب البنفسج فوق ظل رداءه
فالأرض تورق من ملامح مائه
للأرض ذاكرة الهروب من التوجس
من شحوب يحتفي بالثائه
تستدعي المكان الذي يشتاقه الشاعر فهو كالبنفسج الذي يعطي للمكان جماله ورونقه، وهو تلك الذاكرة التي يهرب إليها الإنسان ليختبئ داخلها حتى من نفسه وهو يعيشه فعلا مؤثرا يمتد في ذاته الهائلة، فيتغنى به، ويعيد إنتاجه خيالا حاضرا فيه. يقول الشاعر:

"وطن يعلب ما تبغي من غوايات

المدينة من خيوط مسائه

وبعيد ترتيب المسافة ليس

ثمة شاعر يطفو على إيمائه

من سفر هذا الكون جاء يقطر

الجنات يسكننا على أشياءه"

لا يفتأ النص ينساب بضمير الغائب دون توجيه وكأنه يتحدث عن غريب، وهذا النص لا يكون على وجه الحقيقة "فالشاعر يخاطب نفسه على سبيل التنبيه إلى موضوع الكلام، إنه يستحضر مخاطبا افتراضيا يكون هو من يتلقى شعره الذي ينشئه ويثثه ما فيه من شؤون وشجون"¹⁷، كالشاعر القديم، الذي كان مجرد من نفسه ذاتا أخرى ويخاطبها في مكان تأنس فيه الروح ومكان الشاعر هنا هو مدينته ومدينته هي القصيدة، فهي الذات الأخرى وهي المكان الذي يستظل بظله ويستريح في أجوائها من تعب تغريته.

المبحث الخامس : سلطة الذات و شعيرة الغواية

يتشكل وعي الذات المبدعة بين ما كان يشغلها حينما كانت الآفاق مشرعة على المستقبل الحامل لبشارات الأضواء التي بدأ يخفت وميضها مع مرور الزمن، وبين الارتداد إلى هواجس الذات المهزومة التي تتجاذبها رغبات يومية بسيطة.

وتأتي قصيدة "غواية القصيدة" (18)، لتمثل نتاجاً لتمرکز النصّ الشعريّ حول الذات، بالتالي تصيرُ الذات بديلاً للموضوع الآخر، هنا يحدث تغييبٌ للموضوعي على حساب الذات، ممّا يتسبّب في حدوث انغلاقٍ للنصّ على ذاته بمفهوم بوح الذات ورؤية الذات، فالآخر في المشهد الشعريّ ما هو إلّا صورة الذات نفسها، أو ذات الشاعر يحاور ظلّه الآخر.

إنّما المعرفة بغواية الشعر نافذة إلى داخله عبر ثنایا نصه في مجمل متاهات الذات ودواخلها، تأتي لتربك القارئ، عن نوع هذه الغواية. هل هي غواية الفكرة؟ أم غواية كتابة الشعر؟ ثم يعلن أنّها غواية الإبداع عبر ذلك الضوء النافذ من خلال تلك الذات الشاعرة:

آمنتُ أنّ دمّ القصيدة أبيضُ
وبأنّ كهفَ الضوء خلفي ينبضُ
حتى تماهت لحظةُ العشب الضمير
فرحتُ من قلق المسافة أهُضُ
شيئان يحتطبان ذاكرة الهروب
وسادنُ التفاح جاءك ينفضُ
لم يرتكب قومُ المشيئة سوءاً
هم للخيل المخملية روضوا
حملوا أراجيح القنوت لحتفهم
فالكفُّ من عرق الغواية تقبضُ
الكائنات المترفات بدهشة
الإبريق تسكرُ بالفناء وتومضُ
وتلمّ نكهتها البعيدة في
المآتم إذ يقينٌ يركضُ

إن الشاعر وهو يصف يقف على أدق التفاصيل ويضفي على تلك اللوحة الفوتوغرافية الحيوية والديمومة، إنه "يلون الأثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال وتحليل المشاعر الإنسانية تحليلاً يصل بنا إلى الأعماق" (19) إنه يستدرك أبواب أفكاره التي تنطلق منها أحاسيسها، فهي خيول مخملية مروضة تستعد للانطلاق، وهذه الأفكار حبيسة الذاكرة، فإذا انطلقت أصبحت كالنبع الذي يتدفق ويفيض.

إنّما ذات تبحث عن الانعتاق عبر غواية الشعر والكتابة وتعريتها لتكشف الصراع الإيديولوجي الكامن خلفها، وهو يلعب على أوتار النص عبر مفارقات ومشاهد يجتهد في تأسيس أبنيتها، الشيء الذي مكن شاعريته فجعلها تنمهي، وذلك التماهي وتلك الذائقة ترقص في نشوة سكرى، لتخلق عالماً خاصاً بها؛ بدايته اللاوعي

ونهايته الوعي واليقين بواقع محيط تتجلى فيه شعرية الذات عبر استرسال قصائد محكمة السبك منسجمة مع وجدان الشاعر .

وتأتي قصيدة "عراء من ذبول"⁽²⁰⁾ مؤكدة هذا الأمر فالذات تقتص من شهقاتها، فهو عاشق للشعر ولتلك الذات التي تستلهم أفكارها من تجارب حياتية تضيف إليها طابعا جماليا متفردا عبر الحفر في آليات اللغة لتحقيق ما يؤوله المبدع والإنسان الفنان يقول في قصيدته:

أعري فناء الحديقة

أقتص من شهقة الذات

وفي لوحة العاشق المستبد

نقوش من اللحظة المتعبة.

تبحث ذاته عن شاعريتها في محاولة تقصي ماضيها، وفي الوقت نفسه لا تغادر واقعها وتبقى آلة تحفر في ذات الشاعر الحاملة:

فذاك البعيد المكابد بالفأس

رهبة آله المشتهاة

يدوزن إيقاعه في شقوق العدم.

فالذات تفرغ انفعالاتها وتفجرها من الداخل للخارج عبر تراكمات تمتد مرحلة زمنية متجذرة داخل الشاعر، عبر انفعال وجودي يستلهم الفطرة السليمة منذ بدء الحياة، فهو عالم يعبره الشاعر من خلال تلك التدايعات التي تتشكل منها ذاته الشعرية.

فهلا نعوذ من المستطاع

لشاهقة

ليس تأكل يابسة الأمنيات؟

إنه التوصيف الانشطاري للذات المتشظية بين شاعريته وبين واقعه وخوفه المطبق للدلالة على العاطفة والرغبة التي تكابد جلاء الحقيقة دون وضوح، لكنه التمني الذي يغدو كالمستحيل الذي يتوسطه الرجاء والتمني.

الخاتمة

إن الذات الصميلية تتأمل في فضاءات لغتها، فتتسج خيوطا تمتد بين حاضرها وماضيها، وتحتوي رغبتها واشتاءاتها عبر ترقب فانتظار فاتحة باب الأمل. وهي ذات تحتوي الأمكنة والأزمنة احتواء دمج لا احتواء سلب. إنه ديوان المشتقات الروحية، والنفسية والشعورية والوجودية، وقد صور الشاعر حالة ذاته بين التوازن والاتوازن، بين الوصول إلى بر الأمان واللاوصول ؛ ليعثر على أسرارها ويصفها حتى يحدد المسار ومصير البوح

- الكامن داخله، كالزمن الذي يمشي بوجهات متعددة دائرية وأمامية وخلفية عبر ذاته السابحة في ملكوت الكون، ويمكن أن نحمل آخر ماتوصلت إليه الدراسة في النقاط التالية :
1. توجد حالة توحيد وتماهي واضحة بين الذات الشاعرة، والذات الأخرى عن طريق أن الذات الشاعرة في هذه المجموعة تجمع بين الانكفاء والانفتاح. إنها ذات تبحث عن كونها تخشى ألم الإخفاق وقوة الفشل.
 2. استطاعت الذات الشاعرة من خلال النصوص التوحد مع الذات الأخرى في صراخها الصامت. عبر تقنية التكثيف المتدفق لتصور مكانم الذات وتحولاتها.
 3. بحث الذات الدؤوب هو رحلة الوجود الشعري والإنساني، حيث إن الذات ظلت تبحث عن أسئلتها الوجودية برغم الرواء الفكري واليقين.
 4. شكلت الأماكن لدى الشاعر جزءا من الذاكرة، وتجلت في مدينة الشاعر الفاضلة وهي القصيدة ذاتا ومكانا يستريح فيه.
 5. كان موضوع الذات حاضرا بشكل لافت في شعر الصميلي يحتاج إلى دراسة أخرى لما له من أهمية في الكشف عن مناطق أخرى في الديوان واستنطاقها.

المصادر والمراجع:

أولا المصادر

يقينا يرشح الرمل، حسن بن عبده صميلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 1437هـ-2016م.
المراجع:

- 1- إبراهيم، أنيس، (1978)، من أسرار اللغة، القاهرة، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية.
- 2- باديس، نور الهدى، (2008)، دراسات في الخطاب، بيروت، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- 3- الجرجاني، علي، (1985)، التعريفات، د - ط، بيروت، مكتبة لبنان.
- 4- الجزار، محمد فكري، (1998)، سيموطيقا الاتصال الأدبي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 5- حسن، عبد الناصر، (2002)، سيموطيقا العنوان في شعر البياتي، القاهرة، دار النهضة.
- 6- القاضي، محمد، وآخرون، (2010)، معجم السرديات، تونس، ط1، دار محمد علي للنشر.
- 7- قناوي، عبد العظيم علي، (1949)، الوصف في الشعر العربي، مصر القاهرة، ط1، ج1، شركة ومطبعة البايي الحلبي.

- 8- كون، إيفون، (1922)، البحث عن الذات: دراسة في الشخصية ووعي الذات، ترجمة: غسان نصر، سوريا، د-ط، دار مور.

المجلات:

- 1- عثمان، اعتدال، (1986)، جماليات المكان، مجلة الأقلام، ع1، ص3.
2- عثمان، اعتدال، (1989)، تحولات القص في أدب الثمانينات، الأقلام، ع6، ص89.

رسائل علمية:

- الدوسري، ليلي عبد الرحمن الماضي، الأنا والآخر في نماذج مختارة من الشعر الجاهلي، (1431)، رسالة ماجستير. قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض المملكة العربية السعودية.
المواقع الإلكترونية :

<https://al-maktaba.org/book/7028/309#p37.307> - باب الذال - المكتبة الشاملة الحديثة تم الاسترجاع من الرابط:

الهوامش:

- (1) القاضي، محمد، وآخرون، (2010)، معجم السرديات، تونس، ط1، دار محمد علي للنشر، ص201.
(2) يقينا يرشح الرمل، حسن بن عبده صميلى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 1437هـ-2016م
(3) المعجم الوسيط - باب الذال - المكتبة الشاملة الحديثة تم الاسترجاع من الرابط: <https://al-maktaba.org/book/7028/309#p37.307>
(4) الجرجاني، علي، (1985)، التعريفات، د-ط، بيروت، مكتبة لبنان، ص133
(5) الديوان، ص9
(6) الديوان، ص9
(7) الديوان، ص15
(8) الديوان، ص17
(9) الديوان، ص22
(10) الديوان، ص24
(11) الديوان، ص30
(12) باديس، نور الهدى، (2008)، دراسات في الخطاب، بيروت، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص73.
(13) إبراهيم، أنيس، (1978)، من أسرار اللغة، القاهرة، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، ص133
(14) عثمان، اعتدال، (1986)، جماليات المكان، مجلة الأقلام، ع1، ص22
(15) عثمان، اعتدال، (1989)، تحولات القص في أدب الثمانينات، الأقلام، ع6، ص89.
(16) الديوان، ص28

(17) الدوسري، ليلى عبد الرحمن الماضي، الأنا والآخر في نماذج مختارة من الشعر الجاهلي، (1431)، رسالة ماجستير. قسم اللغة العربية، كلية

الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض المملكة العربية السعودية، ص19

(18) الديوان، ص35

(19) قناوي، عبد العظيم علي، (1949)، الوصف في الشعر العربي، مصر القاهرة، ط 1م، ج 1، شركة ومطبعة البابي الحلبي.

(20) الديوان، ص37